على ضريح من احب

في منتصف الليل غمرني الظلام الحالك السواد

وكانت الطبيعة نائمة في احضان الهدو والسكون ولم يكن في لوحة الكون الواسع سوى نجوم صغيرة بعيدة تتألق كانها رؤوس مسامير لماعة دُقت في صدر السماء لكي لا تهبط على الارض

تقدمت بخطوات مرتجفة تحركها روح تعبت من الضياء والنور وركعت بجانب رمم التراب الكثيفة المحيطة بضريح من احب

لم اتجاسر ان ارفع عيني الى فوق لاني شعرت ان الارواح البشرية المائلة الفضاء تستهزىء بي قائلة

« تراب يعانق التراب »

***

سكبت دموعي على ذلك الحجر البارد القاسي المنصوب على القبر رمزاً الى الموت. الصقت اذني بالارض فشعرت بتموجات روح داخل القبر وسمعت خفقان قلب يلبض فتهتز لهُ دقائق التراب المنطرح عليهِ ابكي

احدقت بعينين مغلتين بالدموع فتخيلت اني ارى داخل القبر عينين ضاحكتين وشفتين ترتعشان ولا تتكلمان وقد انسدل على ذلك الجسم اللطيف الذي احببتهُ بالامس شعر ناعم طويل كأنهُ كفن اسود يكفن كل ما عرفت في هذا العالم من نقاء وطهارة

تخيلت ذلك الجسم الذي كان لديّ اعزّ ما املك وقد اخذ الانحلال الطبيعي مفعولهُ منهُ فلم اتمالك ان بكيت صائحاً من اعماق قلبي

« الطبيعة استنشقت روح من احب بقبلة والقبر انتزع كل جمالهِ بليلة واحدة »

***

انا لا اخاف الموت ولكني اخاف القبر !

الموت ضجعة الابدية اللذيذة التي ابتسم لها واحلم بها

اما القبر مظلمة باردة لا اتجاسر ان افتكر فيها

الموت ارواح تعانق الارواح !

اما القبر فتراب يعانق التراب !

***

انا لم افهم ما هو الموت قبل ان مد يدهُ الى من احب

حبيب مات في زهرة العمر فلم يعش الى الموت مثقلاً بالسنين لكن الموت جاء اليهِ باكراً جداً

نعوهُ اليّ فشعرت في تلك اللحظة اني ازددت عشر سنوات دفعة واحدة ونظرت اليهِ فاذا بهِ قد ازداد جمالاً كأن جمال الحياة لا يكمل الاَّ بالموت

لم ابك على من احب حين مات بل بكيت عليهِ حين رأيتهم ينزلونهُ في قبر مظلم ضيق لاني بالحب وددت ان ارفعهُ الى السماء فجاء الموت بالرغم عني وانزلهُ الى القبر فاذا جئت اعانقهُ شعرت بانني « تراب يعانق التراب »

***

لماذا يطمع الله فينا ونحن اضعف مخلوقاتهِ ؟

انهُ يسلبنا الذين نحبهم واحداً بعد آخر ولا يترك لنا من آمال الحياة سوى الامل الوحيد وهو أن نرفع أنفسنا اليهِ ونصلي لهُ ونتعزى بحبهِ

لكن لا — ان لنا في تذكارات الماضي يا رب ما لا تبدلهُ بكل نعيم المستقبل ووعوده

هذه التذكارات التي تدفىء برودة ارواحنا هي كل ما نحب ونملك

بالتذكار اتعزى وبالتذكار يعيش من احب في قلبي

حينما كان على الارض كنت منهُ يا الهي فكانت تذكاراتهُ جزءاً منك والآن هو معك وقد ارتفع الى فوق فاصبح طاهراً شفافاً . والحياة كامواج البحر لا يظهر جمالها الا اذا ارتفعت الى فوق

***

الشمس غابت واشرقت في الصباح

والنجوم اختفت ثم لمعت في الماء

الازهار التي ماتت في الشتاء عاشت في الربيع

اما الذي احبهُ فقد مضى ولن يعود

لقد مات قلن اراهُ

ولم يترك لي سوى ضريح مظلم ارتمي عليهِ من الصباح الى المساء متألماً باكياً نائحاً فاسمع الارواح تستهزىء بي قائلة

« تراب يعانق التراب »

***

الى ذلك الضريح ذهبت اعود من أحب

وقفت على باب تلك المغارة المظلمة المفتوحة كجرح عميق في صدر الارض وناديت من حشاشة الروح « يا قبر ! — اريد حبيبي ارجع اليّ من أحبّ »

واذا بالقبر يجيبني بانة عميقة كأنها خارجة من غاب كثيف

« لقد تعبت منكم ايها الناس كما تعبتم مني

« انا خادم الطبيعة انا معمل تخريبها العظيم

« انا استلمت من تحب يا فتى فقمت بالعمل الذي وجدت لاجلهِ

« اخذت اللمعان من عينيهِ وارجعتهُ الى النجوم اللامعة البعيدة

« قطفت الابتسامة عن شفتيهِ وارجعتها الى افواه الاطفال

« استخرجت الحرارة من قلبهِ ورفعتها الى الشمس المشرقة الدافئة

« امتصصت نضارة الحياة من وجنتيهِ وسكبتها في قلب الطهارة الخالدة

« شعره الناعم الطويل وضعته على اكتاف الليل الراكض مسرعاً الى الابدية

« لون وجهه الشاحب مسحت بهِ وجه القمر

« حديثهُ العذب وضعتهُ في افواه العصافير التي تغرد كل صباح

« اخلاقهُ الرضية وصفاتهِ الطيبة ووزعتها على محبيهِ لتبقى بينهم تذكاراً ابدياً لا ينسى

« وهذه الحفنة الصغيرة من التراب التي كانت فيما مضى جسد من تحب هي الآن وديعة عندي لانها نصيب امنا الارض وسأرجعها بامانة اليها متى اكملت تحليلها الاخير

«اما نفسهُ — نفس من تحب يافتى — فقد ارجعتها الى الله فاذهب اليهِ واسأل عنها»

***

وبقلب مكسور الويت برأسي راجعاً من جانب القبر افتش عمن احب
سألت علماء اللاهوت — اين هو الله ؟ فاجابوا « في كل مكان »
وسألت علماء الطبيعة — فقالوا « ليس في مكان »
وسألت فريقاً آخر — فاجاب « لا ندري »
لذلك سأفتش على حبيبي الى ان اجده

وستظل حياتي معلقة فوق رأسي كسقف بيت متداعٍ للخراب الى ان امشي وراء من أحب « روحي — حياتي — اختي »

توفيق مفرّج

مدام كوري والراديوم

ان زيارة مدام كوري مكتشفة الراديوم لاميركا واهداء الاميركيين اليها غراماً من هذا العنصر وثمنهُ حسب سعره الآن ١٢٠٠٠٠٠ ريال اميركي حوّلا الانظار اليهِ واليها

فقد اكتشفتهُ هي وزوجها في اواخر سنة ١٨٩٨ كما ذكرنا في مقتطف فبراير سنة ١٨٩٩ حيث قلنا « قال المسيو كوري وزوجتهُ انهما اكتشفا مادة ظناها عنصراً جديداً واطلقا عليها اسم الراديوم اي المشعة لانها تشعُّ النور على اسلوب لا مثيل لهُ » الى آخر ما ذكرناهُ هنالك

والمسيو كوري من اهالي باريس ولد سنة ١٨٥٩ وابوهُ طبيب وقد ورث منهُ الميل العلمي واشتغل بالعلوم الطبيعية وعمرهُ عشرون سنة وجُعل استاذاً لها سنة ١٨٩٥ والتقى حينئذٍ بالفتاة التي صارت شريكة لهُ في حياتهِ واشغالهِ وهي بولندية الاصل واسمها ماري سكودوسكا ولدت في مدينة ورسو سنة ١٨٦٨ من بيت علم وفضل فان اباها كان استاذاً مشهوراً بالتاريخ الطبيعي وامها رئيسة لمدرسة عالية من مدارس البنات ولها اخت درست الطب واقترنت بطبيب وانشأا مصحاً لمعالجة المرضى والناقهين. وهي اي مدام كوري اتمت دروسها وعمرها ست عشرة سنة واعطيت وساماً ذهبياً لامتيازها على غيرها واشتغلت في معرض الطبيعيات ثم اتت باريس سنة ١٨٩١ ودرست سنتين فاجيز لها في العلوم الرياضية ثم درست